

# رحلة جندي في الجحيم الأفريقي ومأساة أنتيغون الجزائرية

مهرجان روتردام السينمائي يكرّس انفتاحه على التجارب الشبابية



«البعوض» رحلة جندي نحو الجحيم



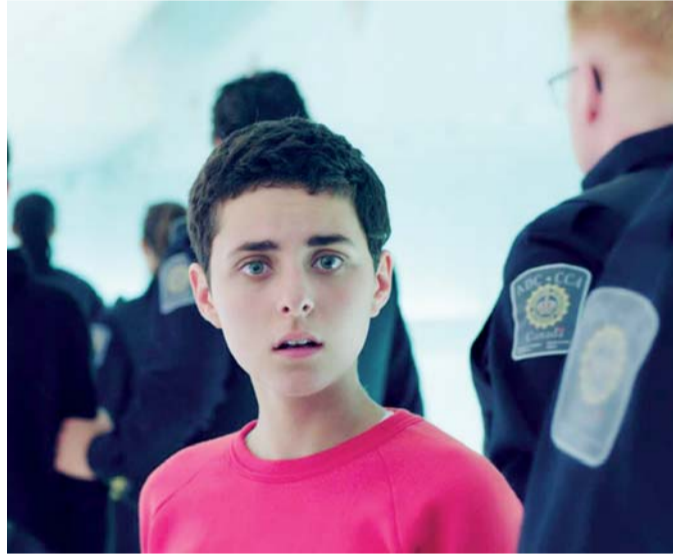
زكريا يتكبد المتاعب في أحراج أفريقيا

يحيط بها عدد يتزايد يوميا، من الشباب والكبار، في شبه فنية صامتة تضامنا مع أنتيغون. شخصية هيومن غير مخدومة جيدا في السيناريو، والمشاهد التي يظهر فيها هي الأضعف في الفيلم. كما أن أداء الممثل أنطوان ديسروشير يهبط كثيرا بإيقاع المشاهد التي يظهر فيها مع الممثلة الواقعة، أي الموهبة الجديدة التونسية الأصل نعيمة ريسي.

**البطل زكريا يتعلم خلال الرحلة معنى التضامن الإنساني، وكيف أن الحرب لعبة مدمرة تدفع به إلى هلاك الجسد وهلاك الروح**

من لم يطلع على مسرحية سوفوكليس ريسا لن يستمتع كثيرا بمتابعة هذه المأساة العصرية تماما، وربما يجد أيضا غرابة في استخدام أسماء عائلة هيومن، بل وربما لا يستطيع أن يفهم تسمك أنتيغون وتلقه بأدائها المذهل «جان دارك» معاصرة تضحي بحياتها من أجل ما تؤمن به. هذه ممثلة سيكون لها شأن كبير في المستقبل. بقي أن تذكر أن هذا الفيلم حصل على جائزة أحسن فيلم كندي في مهرجان تورنتو السينمائي، كما تقدمت به كندا للترشيح لجائزة الأوسكار عن أفضل فيلم أجنبي، ولكنه لم يصل إلى الترشيحات النهائية.

قلب الفيلم ومحوره، ووجوده يضمن للفيلم حيويته وتلقه بأدائها المذهل في دور يجعلها قريبة الشبه كثيرا من «جان دارك» معاصرة تضحي بحياتها من أجل ما تؤمن به. هذه ممثلة سيكون لها شأن كبير في المستقبل. بقي أن تذكر أن هذا الفيلم حصل على جائزة أحسن فيلم كندي في مهرجان تورنتو السينمائي، كما تقدمت به كندا للترشيح لجائزة الأوسكار عن أفضل فيلم أجنبي، ولكنه لم يصل إلى الترشيحات النهائية.



أنتيغون... مأساة معاصرة عن أوضاع المهاجرين

الآغاني التي تعلق على أحداث العمل، وتغيب الملامح المعروفة لكربون، ولكنها لن تكون النهاية. «جوكاستا» قبل عشر سنوات جاءت إلى كندا الفرنسية أسرة مكونة من الجدة «مينيس» (رشيدة أوسعادة) ومعها أربعة أطفال قتل والدهم في الصراع المشتعل في الجزائر. الأطفال الأربعة هم: الابن الأكبر «اتوكيل» (حكيم براهمي)، والأصغر «بولينيس» (رواض الزين)، والابنة الكبرى «اسمين» (نور بلخيرية)، والصغرى «أنتيغون» (نعيمة ريسي). تمر السنون، ولا يزال وضع الأسرة في المهجر غير مستقر، فلم يحصل الجميع بعد على الإقامة الدائمة. ولكن أنتيغون تتفوق في دراستها وتنال مكافأة مالية نتيجة تفوقها في المدرسة الثانوية. إنها ما زالت في السابعة عشرة من عمرها. تتطلع إليها الأسرة في أمل، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. فالآلة تدرج أمورا أخرى غير ما يحلم به المرء ويتمناه حال التراجيديا اليونانية.

الابن الأصغر بولينيس ضالع في أعمال غير قانونية ترتبط بتوزيع المخدرات، وقد سبق أن قبض عليه وقضى فترات في السجن. وذات يوم أثناء وجوده مع مجموعة من الشباب، تدهم الشرطة المكان يريدون القبض عليه، يصدى لشرطي، وتنطلق رصاصة تصيب شقيقه اتوكيل في مقتل. يلقي بولينيس في السجن حيث يواجه الترحيل إلى الجزائر التي لا يعرف عنها شيئا فقد غارها وهو طفل صغير.

يفتتح ذهن أنتيغون عن خطة لإنقاذه والتضحية بنفسها، فنقص شعرها بحيث تشبه أختها تماما، وترتدي باروكة وتذهب لزيارته في السجن مع جتها، ثم يحدث التبادل على أن يخرج بولينيس ليغادر كندا بأسرها. وتقع أنتيغون في مكانه إلى أن يكتشف أمرها فتفجر القضية في عموم البلاد وتصبح قضية رأي عام. ما الذي يدفع أنتيغون إلى التضحية بنفسها من أجل شقيقها المتورط بالفعل

افتتحت الدورة الـ 49 من مهرجان روتردام السينمائي بفيلم «بعوض» Mosquito وهو الفيلم الروائي الطويل الثاني لمخرجه البرتغالي جواو نونو بنتو، وبهذا يكون المهرجان مخلصا للاتجاه الذي وضعه لنفسه منذ تأسيسه عام 1972، أي أن يكون مهرجانا للمواهب الشبابية ويحتضن الأفلام الأولى للمخرجين.

**أمير العمري**  
كاتب وناقد سينمائي مصري

يمكن أن نطلق على فيلم «بعوض» للمخرج البرتغالي جواو نونو بنتو أيضا «1917»، فهو مثل الفيلم البريطاني المرشح للأوسكار، تجري أحداثه في ذلك العام تحديدا خلال الحرب العالمية الأولى، وهو مثله في أنه يصور تجربة جندي في مقتبل الشباب يخوض رحلة في قلب جحيم الحرب دون أن يشارك فعليا في القتال، إلا أن دوافعه تختلف تماما عن دوافع بطل الفيلم البريطاني، كما أن ساحة الحرب ليست أوروبا، بل أحراش أفريقيا، بكل ما تحتويه من غرائب وعجائب وأهوال.

بطل الفيلم شاب لم يصل بعد مرحلة البلوغ، فهو في السابعة عشرة من عمره، ينطلق بدافع الشعور بالواجب الوطني للتطوع في الجيش البرتغالي (الاستعماري) لكي يجد نفسه مرسلًا إلى موزمبيق للالتحاق بالقوات البرتغالية هناك التي تقاوم ضد القوات الألمانية في سياق التنافس الضاري الذي كان سائدا وقتها حول المستعمرات.

## المخرج الممثل

هذا الشاب الذي يقوم بدوره المخرج نفسه، جواو نونو بنتو، يدعى «زكريا» ومعناه «الذي يتذكره الله». ولكنه سيسقط في أفريقيا مريضا بالمalaria. تتركه الوحدة التي التحق بها وينسى رفاقه وجوده أصلا، ويرحلون ويتروكوه خلفهم وحيدا يتعين عليه أن يتماثل ويتحامل على نفسه ويقطع وحده رحلة مخيفة وسط الأعداء وهو يحمل سلاحه وتموينه، بغية الوصول إلى وحدته العسكرية. وخلال ذلك يواجه الكثير من المتاعب والأهوال ويدرك أن الحرب ليست نزهة بل صناعة للقتل والتعصب والكرهية.

يبدأ الفيلم بمشهد فريد في سينما الحرب. مجموعة من الجنود البرتغاليين يامرهم قائدهم النرس بامتطاء رؤوس عدد من الرجال الأفريقيين فارعي الطول الذين تم إخضاعهم للرجل الأبيض، بل هم بمثابة «عبء» للبرتغاليين في البرتغال. يقفز كل منهم ويعتلي رأس الأفريقي وهو يحمل سلاحه ومتاعه، لكي يعبر الأفارقة الخاضعون للقوة الاستعمارية الغاشمة، مياه بحيرة واسعة، يخوضون في الماء، لكي لا يبتل الجنود البرتغاليون الذين يحملهم الأفارقة فوق رؤوسهم.

هذا الخضوع أو بالأحرى - الإخضاع والاضطهاد والتكبل بالآخر - الأفريقيين، سيوضح أكثر فآكتر عبر مسار الفيلم. لا مجال هنا للتهاون معهم كما يوصي قائد الوحدة العسكرية جنوده، بينما يقول قائد آخر يقيم زكريا ضيقا على وحدته أنه قرّر أن يتمتع عن القتال وأنه يعزّم مع رجاله الاستسلام فور وصول الألمان إليهم. فهو لا يريد أن يموت على أيدي أولئك الوحوش.

وعندما يرغب زكريا في مواصلة طريقه بصحبة مرافقيه الاثنين من الأفريقيين، يحذره القائد بقوله إن أكثر الذين يجب أن يخشاهم هم مرافقاه الأفريقيين لأن الأفارقة «يغدران ويتمردان». ولكن التمرد، سياسي - كما سنرى - بسبب تعنت زكريا ورفضه أن يتحرك أي فرصة لرفيقه لنيل قسط من الراحة ويرغمها على مواصلة السير وهما يحلمان الأمتعة الثقيلة، ويقطعان مسافات طويلة لأيام

وليل، وسط طقس شديد الحرارة، فزكريا يبدو كما لو كان يشق طريقه بإصرار محموم، نحو الجحيم نفسه، في رحلة تذكرنا على نحو ما، برحلة بطل «قلب الظلام» لجوزيف كونراد. الصورة ضبابية شاحبة، يسودها اللون الأصفر خاصة في المشاهد الليلية، والمساحات الواسعة المفتوحة للصحراء

**نعيمة ريسي في دور أنتيغون، هي قلب الفيلم ومحوره، في دور دارك معاصرة تضحي بحياتها من أجل ما تؤمن به**



تتمتع عظمة المسرحيات الإغريقية التي أبداعها كتابها قبل قرون من ظهور التقويم الميلادي، في أنها ما زالت تلهم خيال المسرحيين والسينمائيين وكتاب الدراما عموماً وأفكارها الإنسانية، يقتبسونها ويعيدون تقديمها في معالجات عصرية.

أحد هذه المعالجات التي تأخذنا من عالم سوفوكليس إلى عالم اليوم بمشاكله الجديدة تتبدى في الفيلم الكندي «أنتيغون» Antigone للمخرجة الشابة صوفي ديراسب (من مقاطعة كيبيك)، فهو يتناول قضايا العنصرية والهجرة وعنف الشرطة وعمق القانون، والحلم بالتحقق في مجتمع جديد هربا من الموت في الوطن. والمعالجة التي كتبتها المخرجة نفسها جاءت بالطبع بتصرف كبير رغم حضور معظم شخصيات المسرحية الأصلية. لا يوجد هنا «كورس» أو مجموعة المنشدين الذين يرددون